

أضواء البيان

@ 27 @ .

ومفهومه : أن من لم يؤثر الحياة الدنيا ، ولم يحسب أن ماله أخلده ، لن يطغيه ماله ولا غناه ، كما جاء في قصة النفر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع من بني إسرائيل . . .
وقد نص القرآن على أوسع غنى في الدنيا في نبي ﷺ سليمان ، آتاه ﷻ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ومع هذا قال : { إِنْ زَيْتِي أَحْضَيْتُ حُبِّيَّ الْخَيْرَ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّهُمَا عَلَيَّ } . . .
وقصة الصحابي الموجودة في الموطأ : لما شغل ببستانه في الصلاة ، حين رأى الطائر لا يجد فرجة من الأغصان ، ينفذ منه ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله : إني فتننت ببستاني في صلاتي ، فهو في سبيل الله) فعرفنا أن الغنى وحده ليس موجباً للطغيان ، ولكن إذا صحبه إثارة الحياة الدنيا على الآخرة ، وقد يكون طغيان النفس من لوازمها لو لم يكن غنى . إن النفس لأمارة بالسوء . وأنه لا يقي منه إلا التهذيب بالدين كما قال تعالى : { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا كِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ } . . .
وقد ذكر عن فرعون تحقيق ذلك حين قال : { أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَرْضُ نَهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } ، وكذلك قال قارون { إِنْ زُمَّتْ أُوْتِيَّتُهُ عَلَيَّ عَلِيمٌ عِنْدِي } ، وقال : ثالث الثلاثة من بني إسرائيل (إنما ورثته كابرًا عن كابر بخلاف المسلم) إلى آخره . فلا يزيده غناه إلا تواضعاً وشكراً للنعمة ، كما قال نبي ﷺ سليمان { قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنِّي أَضْمُرُهُ لِيَذْكُرَ مَا نِعْمْتِي وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } ، وقد نص في نفس السورة أنه شكر ﷻ { فَتَتَّبِعْهُمْ مِّنْ خَلْفَةٍ مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْزَعْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } . . .
وفي العموم قوله : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْزَعْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي اتَّقِي } . . .

وقد كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحاب المال الوفير فلم يزد لهم
إلا قرباً لله ، كعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأمثالهم ، وفي
الآية